قبل موعدها :

بدأت المعركة الانتخابية فى إسرائيل !

أنيس منصور

التنوير

أخطأ فيلسوف إغريقى قديم عندما أعلن أن كل شىء فى الدنيا ثابت . لا حركة . ودليله على ذلك أنك لكى تقطع مسافة فأنت تقطع نصفها أولا . ثم نصف النصف وهكذا . . وعلى ذلك فأنت غير قادر على الحركة ! . .

والفيلسوف اسمه زينون . .

وأخطأ فيلسوف آخر اسمه هرقليطس عندما قال إنه لا يوجد شىء ثابت . وإن كل شىء متحرك . انظر إلى النهر . إنه يتغير . فالنهر الذى تنزله الآن ليس الذى نزلته قبل ساعة أو بعدها . .

فالثبات نسبى والحركة نسبية . والحركة المحدودة هى الخطوة . خطوة وبعدها سكون ثم خطوة أخرى . فهى حركة تتخللها لحظات من الثبات !

وفى الأشياء المادية كما فى العلاقات بين الناس . . فيوم أعلن الرئيس السادات أن مبادرة السلام كانت نهاية لسياسة الخطوة خطوة . لم يكن يقصد أن مبادرة السلام نفسها ليست خطوة . إنما هى خطوة كبيرة جدا إذا ما قورنت بخطوات فك الاشتباك الأول والثانى . ولكن خطوة المبادرة كانت هائلة . والذين قارنوا بين نزول الرئيس السادات إلى القدس ونزول الإنسان على القمر ، لابد أنهم يتذكرون ما قاله ذلك الرائد فوق سطح القمر : هذه خطوة قصيرة لإنسان ، خطوة كبيرة للإنسانية ! . .

ومبادرة السلام كانت خطوة نحو خطوات أكبر من الانسحاب من سيناء . فالهدف هو الانسحاب من الأرض المحتلة كلها وقيام الدولة الفلسطينية .

وكان المفروض أن أول انسحاب من سيناء يقف عند خط العريش – رأس محمد . ولكن إسرائيل رأت أن هذه خطوة أكبر مما يحتملها الرأى العام الإسرائيلى . وأن المبادرة كانت صدمة عنيفة . وأن هذا الانسحاب هو صدمة أخرى . ولذلك كان من « الضرورات النفسية » أن يكون الانسحاب هو الآخر خطوة بعد خطوة . أو مرحلة تالية لمرحلة .

ولذلك يمكن أن نقول إن الخطوة الأولى الكبيرة لمبادرة السلام قد انتهت أو أوشكت . ولابد أن تجئ خطوة أخرى طويلة لها نفس الأثر والقدرة على التغيير .

ولذلك تسارع الدول الأوروبية أن تأخذ المبادرة – أى المبادرة بمبادرة أخرى جديدة .

ولم تفلح دول الرفض أن تتقدم بأية خطوة . أو تركب على أكتاف الدول الأوروبية لتخطو بها نحو السلام الشامل .

ولكن المشكلة التى تواجهنا الآن دون أن ندرى . هى أننا نسينا التطبيق التدريجى للسلام الشامل . وجعلنا نبقى القضايا التى رفضناها وهى : حل كل المشاكل معا . أو رفضها معا . فنحن الآن نطالب بالضفة الغربية والقدس وقطاع غزة . وهذا مطلب أساسى . ولكن لابد أن نعود مرة أخرى إلى

د. شمعون شامير فى حديث مع الرئيس السادات استمر ساعتين عن التاريخ اليهودى فى مصر وعن السادات الخلاق ومراحل السلام

ارجوك توبنى . بعد انتصار اسرائيل على مصر قال : انها رغم ذلك سوف تزول ؟ !

التناول التدريجى للمشاكل . ولهذا السبب اقترحت مصر تطبيق الحكم الذاتى على « غزة » ، ولتنظر لترى ما سوف يفعله الشعب الفلسطينى .

ومصر على يقين من نجاح هذه التجربة . وسوف يكون نجاحها كخطوة أولى . حافزا على الاستمرار فى هذه التجربة على نطاق أوسع . فطريق النجاح يبدأ بخطوة .

ويجب أن نجد الأعذار لشعب غزة . وأن نتناول بالعقل مواقفهم السلبية أو الرافضة لهذه المبادرة . فهم يخافون من قوات الاحتلال . وهم يخافون من منظمات التحرير الفلسطينية . وهم يخافون من الأردن الذى يخاف من سوريا .

أما الموقف الاسرائيلى فيختلف تماما . فهم لا يريدون الحل التدريجى للضفة والقطاع والقدس . إنما يضعونها معا فى صندوق واحد ليرفضوا معالجتها فى آن واحد .

وعلى الصندوق مكتوبة هذه العبارة : إن كل مشكلة منها مستحيلة الحل . إذن فهذه المشكلات مجموعة من المستحيلات !

وعندنا فى الأمثال الشعبية أن رجلين قد اختلفا على موضوع دقيق جدا . هو : هل عدد النجوم فى السماء أكثر من عدد الشعر فى ذيل الحصان ؟

أما حل هذه المشكلة فمشكلتان : الأولى أن أحد الرجلين يقوم باحصاء عدد النجوم . والثانية أن الرجل الآخر يتولى تعداد الشعر فى ذيل الحصان .

أى أن حل المشكلة الواحدة يقتضى حل مشكلتين فى وقت واحد ! !

وتجربنا أستاذنا العظيم سقراط : أن رجلا ملأ جيوبه بحبات القمح . فحاول أن يعد ما فى أحد الجيوب . فلما لم يستطع أفرغ كل ما فى جيوبه ليعدها معا — وبديهى ألا يفلح !

وأنا يفلح من يحل المشاكل المعقدة مرة واحدة : الحكم الذاتى وغزة والقدس . ولكن المنطق والطبيعى والذى أفلحنا فيه . هو أن نبدأ واحدة واحدة . ونصبر على أنفسنا وعلى غيرنا . وقد جربنا الصبر الطويل . ويجب أن نمضى فيه . فالاستمرار فى الاعتماد على الصبر ، قمة الصبر . .

ومن المناسب ومن الإنصاف أيضا أن نستعير عيون الشعب الإسرائيلى لننظر بها إلى مشاكله : أى العجز عن حل هذه المشاكل . أى عجز حكومة السيد بيجين التى تقف فى طريق الحل . وذلك بالامتناع عن الحركة ، أو بوضع عقبات تمنعنا نحن أيضا من الحركة .

فعضو الكنيست المعروف أورى أفنيرى هو الذى وقف يطالب رئيس الوزراء بأن يستقيل من منصبه . ويكفيه شرفا ما حققه بإقامة سفارة لإسرائيل فى القاهرة . فتح السفارة هو إقفال لملف التاريخ السياسى للسيد بيجين !

وذهب هذا الصوت الوحيد لتبتلعه جدران الكنيست أو ضوضاء الأغلبية التى تملكها الحكومة الائتلافية . ولكن لا يعيب هذ الصوت الواحد ، أنه واحد من ١٢٠ صوتا .

فقديما حدثنا الأساطير عن ملك ساز عاريا . ووراءه الحاشية والوزراء والكبراء والناس جميعا يهنئون للثوب الجميل الذى ارتداه الملك . ولكن طفلا واحدا قال : ولكنه عريان ! .

وكان صوتا واحدا : ولكن لايعيبه أنه صوت صغير ابتلعته المتافات والتصفيق !

وفى إسرائيل من يقول : إن هذا هو أقصى ما يستطيع أن يقدمه السيد بيجين . فقد تغير كثيرا جدا . وكان تغيره تنكرا لكل ما نادى به من قبل . ولو نظر السيد بيجين إلى صورته فى العالم فإنه لا يعرفها . فقد ابتعد كثيرا جدا عن تعاليم أستاذه جابوتنسكى الذى طلب إليه فى إحدى المرات فى سنة ١٩٣٨ أى قبل وفاته بسنتين . أن يلقى بنفسه فى نهر الفستولا .

قال له جابوتينسكى : لاحل عندنا إلا الانتقام وليس المصالحة — أى المصالحة مع الإنجليز والعرب .

وجابوتينسكى هو الذى قال أيضا أمام « لجنة بيل » : إن قيام دولة يهودية على ضفتى نهر الأردن لن يؤدى إلى صدام بين الإنجليز والإسلام ، وإذا حدث فلن يكون شيئا خطيرا !

ولم تقم الدولة على الضفتين . إنما على ضفة واحدة . ولم يحدث صدام بين

الإنجليز والمسلمين . ولكنه سوف يحدث بين حكومة بيجين و ٨٠٠ مليون مسلم . بسبب موقفه من مدينة القدس !

وإذا كانت حكومة إسرائيل قد وضعت العقبات فى طريق التسوية . فإنها فى نفس الوقت قد جعلت من هذه العقبات موضوعا للمناقشة العنيفة بين الأحزاب الأخرى . وهى بذلك تكون قد أعلنت برنامجها الانتخابى مبكرا عن موعده . ولذلك سارعت أحزاب المعارضة تقدم حلولا لهذه المشاكل .

فحزب العمل بزعامة السيد شيمون بيريز ظهرت له أحاديث سياسية كثيرة . هذه الأحاديث هى استئناف للحكم فى كل القضايا المعلقة . ثم وعد بحلها على نحو أفضل . أى على نحو يوفق بين التمسك الإسرائيلى بسلامة إسرائيل وإغراء الأطراف الأوروبية أن تنتظر حكومة العمل . أو تعجل نهاية حكومة الليكود .

فالانسحاب من سيناء لم يعد مشكلة . أى أن هذه الخطوة الهائلة قد قاربت نهايتها .

أما الضفة الغربية فيرى السيد بيريز أنها ذاهبة إلى الأردن . وهو على يقين من أن الملك حسين سوف يتقدم ليطالب بها . والسيد بيريز أعلم زعماء إسرائيل بموقف الملك حسين .

وإذا كانت السيدة جولدا مائير قد أعلنت أنه لا يوجد شئ اسمه فلسطين . فإن السيد شامير وزير الخارجية قد أعلن أنه لا يوجد شئ اسمه الأردن . وأن الأردن هى فلسطين .

أما المستوطنات التى كان حزب العمل مسئولا عن قيامها . فيرى السيد بيريز أن تبقى هذه المستوطنات كما هى ، وأن تخضع للإدارة الفلسطينية .

ويريد مصر فى أن يبدأ الحكم الذاتى بغزة .

وهو مثل الليكود يرى أن القدس عاصمة واحدة موحدة إلى الأبد لإسرائيل .

ومن التقاليد السياسية المعروفة فى إسرائيل . أن الناخبين لا يعطون أصواتهم إلا للصقور الذين يتشددون فى مطالبهم وفى حرصهم على حق الدولة فى أن تبقى فى أمن وفى سلام !

أما كيف أن حزب العمل أكثر تشددا من كتلة الليكود . فلسبب ليس واضحا فى الدعاية الانتخابية الجديدة : وهو أن إسرائيل ليست محتاجة إلى الضفة الغربية . لأن إسرائيل يجب أن تكون دولة يهودية مائة فى المائة – هذه أحلام الصهيونية ودعاوى التوراة .

أما الخلافات فى داخل حزب العمل بين الزعيمين إسحاق رابين وبيريز . فأمرها سهل . والرجلان مختلفان تماما . أما بيريز فهو يعتمد على التأييد الأوروبى فى حل المشاكل أو الوعد بذلك . وهو تلميذ لكرايسكى . أما رابين فقد جرب الحكم والزعامة . وهو يعتقد أن أمريكا وحدها هى القادرة على الحل . وأنه سعيد بأستاذية كيسنجر له . ثم إنه قادر على اتخاذ القرار . على عكس بيريز الذى يعتمد على حسابات كثيرة . مراعاة لظروف متغيرة . وبراعته هى فى التوفيق المستمر بين نتائج استفتاءات الرأى العام الإسرائيلى والأوروبى على من الذى سوف ينقذ إسرائيل من نفسها – أى من انقسامها بعضها على بعض . وتمزقها الداخلى .

أما الرأى العام اليهودى فى أمريكا فيرى أن حكومة إسرائيل بهذا التشدد الأعمى والخوف المرضى . سوف تبدد كل مكاسبها .

فقد أحدث أوروبا ضدها . ولصالح العرب .

والأمم المتحدة قد توالت قراراتها التى تدين إسرائيل .

وانعزلت إسرائيل عن العالم كله .

شيمون بيريز . برنامج انتخابى جديد عن كل المشاكل المعلقة

الملك حسين . الأردن هى فلسطين . ومشاركته ضرورية فى الضفة والقطاع .

ويرى يهود أمريكا أن رئيس وزراء إسرائيل هو وحده المسئول عن كل ذلك . . وأنه قد وصل إلى نهاية الطريق المرسوم له تاريخيا .

ولكن السيد مناحم بيجين عنده مشاكل أخرى دينية وسياسية . .

فقد عاش حياته كلها ينادى بأن الضفة الغربية هى جزء من إسرائيل الكبرى .

وسوف يموت من أجل ذلك . وليكن ما يكون فى العالم أو فى إسرائيل .

وعنده مشكلة أخرى : أن السيد عيزر فايتسمان قد أعلن عند خروجه من الوزارة أنه هو الذى كان سببا فى نجاح بيجين . ولذلك قرر بيجين أن ينجح بشخصه وليس بفصاحة أو وسامة أحد .

وسوف يشكل السيد عيزر فايتسمان حزبا جديدا . وسوف ينضم هذا الحزب بأعضائه المتشددين من تحالف الليكود إلى حزب العمل . ومعهم السيد موشى ديان أيضا . وبذلك يعود بيجين إلى المعارضة . ولكن بعد أن أرهقته المعارك السياسية والبرلمانية والحزبية . .

وقد تخدع بهذه الخلافات السياسية فى إسرائيل . وتحاول أن تختار منها ما يتفق معنا فى الرأى ، أو يقف معنا ضد حزب ما فى إسرائيل . ولكن هذه الخلافات طبيعية – وهى مظهر من مظاهر الفردية المطلقة فى إسرائيل . وفى نفس الوقت من مظاهر « الجماعية » . فكل واحد فى إسرائيل له رأى . ويحاول أن يكسب آراء أخرى . . فهو ينفرد برأيه أولا . ثم يقنع الآخرين بالانضمام إليه . فالخلافات والخناقات والصرخات والاتهامات مفردات قديمة فى قاموس الطبيعة اليهودية .

وعندما ذهب رئيس وزراء إسرائيل الأسبق ليفى أشكول إلى إحدى الدول الأفريقية . سأل رئيس الدولة عن الذى فعله خصومه السياسيين . فأجاب رئيس الدولة : قتلناهم جميعا . ولكننا لم نأكلهم !

فضحك ليفى أشكول قائلا : على عكس ما يحدث فى إسرائيل . فنحن نأكل بعضنا البعض . ولكن أحدا لا يقتل أحدا !

وفى كل يوم يتجمع هنا فى مصر علماء اسرائيليون ويهود أمريكان مشعولون بأمر السلام والصلح مع إسرائيل فى المجتمع المصرى . ومن الذى مع السلام . . ولماذا ؟ ومن الذى يخشاه . ولماذا ؟ ولأنه ليس مسموحا لهم بإجراء استفتاء عام فى ذلك . أو لأننا نحن لم نقم بهذا الاستفتاء . فإنهم يدورون على الناس من كل فئة . ويسألون ويدرسون ويحللون . .

أما فى المجتمع الإسرائيلى فقد بدأ التغيير عنيفا ابتداء من حرب أكتوبر . ثم جاءت المبادرة والسلام وتطبيع العلاقات والضيق العالمى بحكومة إسرائيل وخوف اليهود من أن يؤدى ذلك إلى كراهية اليهود فى كل مكان . .

فى داخل إسرائيل نجد تمزقا شديدا بين السلام وبين الاستعداد المستمر للحرب . والحرب على حدود لبنان . والقلق المستمر من الفلسطينيين .

ومن أشكال الاضطرابات النفسية فى إسرائيل : الهرب من الخدمة . والهجرة إلى خارج إسرائيل - ٨٠٠ ألف هاجروا إلى أوروبا وأمريكا واستراليا . وأكثرهم من المهنيين . . فهم فى حيرة : هل هناك سلام ؟ . . إذن فلماذا الجيش ؟ هل هناك حرب ؟ . . إذن فأين السلام . واذا كانت حرب فلماذا يحارب يهود إسرائيل بينما ينعم فى الرفاهية يهود أمريكا وأوروبا . . إن فى استطاعة أى أحد أن يترك إسرائيل ويبعث لها بما تريد من المال . وأن يظل بعيدا عن الحياة الشاقة والاختناق الدائم فى إسرائيل . ثم انتشرت المخدرات وإدمان الخمور . . وكذلك العنف : السرقة بالإكراه وهتك الأعراض . . وضرب الآباء لأطفالهم . والرجال لزوجاتهم . . ثم خطف الأطفال . . والارتفاع المستمر فى الأسعار .

إن الصورة اختلفت تماما عن الذى كتبته السيدة يائيل ديان فى أولى رواياتها « وجه جديد فى المرآة » - كان هناك وجه واضح المعالم ، وكانت هناك مرآة صافية ، وكان كل شئ أجمل وأروع ، ودعوة إلى الاستمتاع بالحياة . فأين هى الآن ؟

حتى الذين يهاجرون من روسيا لايزالون يفضلون أمريكا على إسرائيل . وأكثر المهاجرين من الغربيين ، وبذلك سوف يصبح اليهود الشرقيون أغلبية متفوقة . وسوف يؤدى ذلك إلى خلل اجتماعى لاتعرف إسرائيل بقيادتها الغربية ، أن تجد لـ حلا !

ايزيناور : التأخر فى الفهم واتخاذ القرار ورد الفعل هو سبب كل هزيمة

جولدا مائير : هى التى قالت إنه لايوجد شئ اسمه فلسطين

فإذا كانت الحرب قد وحدت بين كل الشعوب اليهودية ، فإن السلام قد باعد بينها وأطلقها بعضها على بعض . . ثم أفزعها من النهاية . ولذلك فالمزاج العام فى إسرائيل : قاتم حزين .

ويكفى أن ترى أى إنسان على القنصلية الأمريكية فى تل أبيب ليجد طابورا يزداد طولا كل يوم . . إنهم أناس ضاقوا بأرض المعاد المقدسة وهربوا إلى أمريكا .

فهل من الضرورى أن نستعير عبارة قالها المؤرخ الانجليزى الكبير أرنولد توينبى ، وكان فى استراليا يوم انتصرت إسرائيل فى سنة ١٩٦٧ . قال : ولكن الدولة الإسرائيلية ليست جسما طبيعيا فى العالم العربى . ولابد أن تزول !

أما حجج المؤرخ الكبير فلم يشأ أن يذكرها بوضوح . ولذلك يمكن أن يقال مؤقتا إن هذه العبارة غامضة ، وإن البقاء والزوال مرهونان بعوامل لانعرفها . ولكن المعنى هو أن إسرائيل فى حرب داخلية ، وفى حرب مع العالم كله . وهى وحدها التى تشترى وسائل دمارها أو القضاء على سلامها الداخلى والخارجى . .

وربما كان من التبسيط الشديد أن يقال إن حكومة بيجين هى السبب وحدها . وإن كان السيد بيجين هو الذى يجمع الحجارة التى يرجمه بها الآخرون .

وفى حديث طويل بين الرئيس السادات وبين د . شمعون شامير الذى كان رئيسا لمعهد شيلوح للدراسات السياسية ، والذى انشأوا له كرسى « تاريخ اليهود فى مصر » قال الرئيس السادات : إننى أعتقد أن مشكلة القدس أسهل حلا من مشكلة الضفة الغربية . وأن حل هذه القضية سوف يجعل إسرائيل تكسب ٨٠٠ مليون مسلم فى خطوة واحدة . وتتفادى بذلك العداء العالمى لها .

ومن رأى الرئيس السادات أن تبادر إسرائيل بوضع أعلام عربية أو إسلامية على الأماكن المقدسة فى المدينة .

وهذه خطوة قصيرة لإسرائيل ، ولكنها كبيرة جدا للعالم الإسلامى والمسيحى .

وخطوة أخرى صغيرة هى تطبيق الحكم الذاتى على غزة . .

وفى رأى الرئيس السادات أيضا : أن تبدأ ذلك الآن . .

وعلى الشعوب اليهودية والشعب الإسرائيلى أن يجد تفسيرا لمعنى كلمة « الآن » . . هل هى هذا العام . . أو هذه الانتخابات الأمريكية . أو الانتخابات الإسرائيلية المبكرة . .

وإذا كان لابد من نصيحة من أحد لأحد فهى السطور الأولى التى جاءت فى كتاب « الحرب الحقيقية » للرئيس السابق نيكسون . يقول : كارثة الهزيمة فى الحروب يمكن إيجازها فى ثلاث كلمات : أن تتأخر كثيرا .

« أن تتأخر كثيرا فى فهم الهدف المميت للعدو » .

« أن تتأخر كثيرا فى معرفة الخطر القاتل » .

« أن تتأخر كثيرا فى الاستعداد له » .

« أن تتأخر كثيرا فى توحيد كل القوى الممكنة للمقاومة » .

« ثم أن تتأخر كثيرا فى الوقوف إلى جوار أصدقائك » .

وهذه الكلمات قالها أحد أبطال الحرب العالمية الثانية الرئيس أيزنهاور !

ومن الواضح أن السيد مناحم بيجين قد أخر مسيرة السلام كثيرا عن بداية خطوة جديدة لأمن الجميع !

ان المشاكل تحاصره ولكنها لم تهزمه بعد !

وإذا كان السيد بيجين مشغولا فقط « بالانتقام » من معارضيه فى إسرائيل واوروبا وأمريكا والمتعجلين للوجوه الجديدة وليس مشغولاً باكمال السلام، فمن الذى يطلب إليه أن يلقى بنفسه فى النهر - هذه المرة ؟ .